# أسرار الأربعين

د. لبيب بيضون

الجمهورية العربية السورية

## مدخل

سألني أحد أصدقائي المؤمنين عن فكرة أربعين الميت وأربعين الحسين عليه السلام وزيارة الأربعين؟ قلت: لا أعلم. ولكن قرأت حديثاً يقول بأن السماء والأرض تبكي على المؤمن منذ وفاته أربعين يوماً، فربما لهذا علاقة بفكرة الأربعين للمتوفّى.

ولدى مراجعة كتاب (بحار الأنوار، ج ٧٧ ص ٨٤) وجدت رواية تتعلق بأربعين المتوفى تقول: في وصية النبي صلى الله عليه وآله لأبي ذرّ يقول: يا أبا ذر إن الأرض لتبكي على الميّت إذا مات أربعين صباحاً.

وعن ابن عباس قال صلى الله عليه وآله: إن السماء والأرض لَتبكي على المؤمن إذا مات أربعين صباحاً، وإنها لتبكي على العالِم إذا مات أربعين شهراً، وإن السماء والأرض ليبكيان على الرسول أربعين سنة. وإن السماء والأرض لَيبكيان عليك يا علي إذا قتلت أربعين سنة. (بحار الأنوار، ج ٤٢ ص ٣٠٨)

### السماء تبكي دماً على الحسين (عليه السلام)

يقول أبو مخنف في مقتله، ص٩٣: وتزلزلت الأرض لمصرع الحسين عليه السلام، وأظلم الشرق والغرب، وأخذتِ الناسَ الرجفة والصواعق، وأمطرت السماء دماً عبيطاً [ أي خالصاً طرياً ]... ولم تمطر السماء دماً إلا ذلِكَ اليوم ويوم شُرِح فيه يحيى بن زكريا عليه السلام.

وفي (فرائد السمطين) للحموييني، ج٢ ص ١٦٦، عن كتاب (دلائل النبوة) لأبي بكر الشاشي [ ٢٩١ - ٣٦٥ هـ] بإسناده عن أم سالم خالة جعفر ابن سليمان، قالت: لما قتل الحسين عليه السلام مُطرنا مطراً عَلى البيوت والحيطان كالدم، فبلغني أنه كان بالبصرة وبالكوفة وبالشام وبخراسان، حتى كنا لا نشك أنه سينْزل العذاب.

وعن زُرارة بن أعين عن الصادق عليه السلام قال: بكت السماء عَلى يحيى بن زكريا وعلى الحسين بن علي عليهما السلام أربعين صباحاً، ولم تبكِ إلا عليهما. قلت: فما بكاؤها؟ قال: كانت الشمس تطلع حمراء وتغيب حمراء.

**تفسير الآية:** ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾: (أسرار الشهادة، ص ٤٣٠)

في (المنتخب) عن ابن عباس في تفسير قوله تَعالَى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ أنه إذا قبض اللّهُ نبياً بكت عليه السماء والأرض أربعين سنة، وإذا مات إمام مِن الأئمة الأوصياء بكت عليه السماء والأرض أربعين شهراً، وإذا مات العالِم العامل بعلمه بكتا أربعين يوماً عليه. وأما الحسين عليه السلام فتبكي عليه السماء والأرض طول الدهر. وتصديق ذلِكَ أن يَوم قتله قطرت السماء دماً، وأن هذه الحمرة التي ترى في السماء ظهرت يَوم قتل الحسين عليه السلام ولم تُرَ قبله أبداً، وأن يَوم قتله لم يرفع حجر مِن الدنيا إلا وجد تحته دمٌ.

وروي في أول الجزء الخامس مِن (صحيح مسلم) في تفسير قوله تَعالَى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ قال: لما قتل الحسين عليه السلام بكت السماء، وبكاؤها حمرتها.

وفي (ينابيع المودة) ج٢ ص٣، عن إبراهيم النخعي قال: خرج علي عليه السلام فجلس في المسجد [رحبة الكوفة]، واجتمع أصحابه. فجاء الحسين عليه السلام فوضع يده عَلى رأسه، فقال: يا بنيّ إن الله ذمّ أقواماً في كتابه، فتلا الآية مِن سورة الدخان ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾. وقال: يا بنيّ لَتقتلَنّ مِن بعدي، ثم تبكيك السماء والأرض. وما بكت السماء والأرض إلا عَلى يحيى بن زكريا عليه السلام، وعلى الحسين ابني.

## زيارة الحسين (عليه السلام) في الأربعين

### رجوع السبايا إلى المدينة المنورة مع الإمام زين العابدين عليه السلام ومرورهم عَلى كربلاء:

ثم إن يزيد أمر بردّ السبايا والأسارى إلى المدينة المنورة، فسار بهم الإمام زين العابدين عليه السلام إلى المدينة مِن طريق العراق الصحراوي، فلما وصلوا إلى موضع المصرع الشريف في كربلاء، وجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري وجماعة مِن بني هاشم، قد وردوا لزيارة قبر الحسين عليه السلام في يَوم الأربعين، فأقاموا هناك المآتم والعزاء. وأغلب الظن أنهم وصلوا كربلاء يَوم الأربعين مِن العام التالي لمقتل الحسين عليه السلام وليس في العام نفسه.

ثم تابع ركب السبايا مسيره مِن كربلاء إلى المدينة، فاستقبلهم أهل المدينة بالبكاء والعويل.

### مرور السبايا عَلى كربلاء يَوم الأربعين:

(اللهوف للسيد ابن طاووس، ص ٨٢)

ولما رجع علي بن الحسين عليه السلام وعياله مِن الشام وبلغوا العراق، قالوا للدليل: مُرَّ بنا عَلى طريق كربلاء. فوصلوا إلى موضع المصرع، فوجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري [وكان أعمى] وجماعة مِن بني هاشم ورجالاً مِن آل رسول الله صلى الله عليه وآله قد وردوا لزيارة قبر الحسين عليه السلام. فوافوا في وقت واحد، وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم، وأقاموا المآتم المقرّحة للأكباد، واجتمع إليهم نساء ذلِكَ السواد ؛ فأقاموا عَلى ذلِكَ أياماً.

وفي (رياض الأحزان) ص ١٥٧: وأقاموا في كربلاء ينوحون عَلى الحسين عليه السلام ثلاثة أيام.

**زيارة جابر للقبر الشريف:**

**(لواعج الأشجان للسيد الأمين، ص ٢١٠)**

عن كتاب (بشارة المصطفى) لأبي جعفر الطبري، ص ٨٩ وغيره، بسنده عن الأعمش، عن عطيّة العوفي، قال:

خرجتُ مع جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه زائراً قبر الحسين عليه السلام. فلما وردنا كربلاء دنا جابر مِن شاطئ الفرات، فاغتسل ثم ائتزر بإزار، وارتدى بآخر. ثم فتح صرة فيها صُعُد [نوع مِن الطيب] فنثرها عَلى بدنه، ثم لم يَخْطُ خطوة إلا ذكر الله تَعالَى. حتى إذا دنا مِن القبر قال: أَلْمِسْنيه، فألمسته إياه. فخرّ عَلى القبر مغشياً عليه، فرششت عليه شَيْئاً مِن الماء. فلما أفاق قال: يا حسين [ثلاثاً]. ثم قال: حبيب لا يجيب حبيبه، وأنى لك بالجواب، وقد شخبت أوداجك مِن أثْباجك [جمع ثَبَج: وهو وسط شيء تجمّع وبرز]، وفُرِّق بين بدنك ورأسك. أشهد أنك ابن خاتم النبيين، وابن سيد المؤمنين، وابن حليف التقوى، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكسا، وابن سيد النقبا، وابن فاطمة سيدة النساء. وما لك لا تكون هكذا، وقد غذّتك كفّ سيد المرسلين، ورُبّيت في حجر المتقين، ورضعت مِن ثدي الإيمان، وفطمت بالإسلام؛ فطبتَ حياً وطبت ميتاً. غير أن قلوب المؤمنين غير طيّبة بفراقك، ولا شاكّة في حياتك. فعليك سلام الله ورضوانه. وأشهد أنك مضيت عَلى ما مضى عليه أخوك يحيى بن زكريا.

ثم جال ببصره حول القبر [مع أنه أعمى فقد جال ببصره كأنه يرى، إذ فتح اللّهُ عَلى بصيرته] وقال: السلام عليكم أيتها الأرواح التي حلّت بفِناء الحسين عليه السلام وأناخت برحله. أشهد أنكم أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة، وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر، وجاهدتم الملحدين، وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين.

والذي بعث محمداً بالحق نبياً، لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه. فقال له عطيّة العوفي: وكيف ولم نهبط وادياً، ولم نعلُ جبلاً، ولم نضرب بسيف؟!. والقوم قد فُرِّق بين رؤوسهم وأبدانهم، وأُيتمت أولادهم، وأرملت الأزواج؟!.

فقال له: يا عطية، إني سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: مَن أحبّ قوماً حُشر معهم، ومَن أحبّ عمل قوم أُشرك في عملهم. والذي بعث محمداً بالحق إنّ نيّتي ونية أصحابي عَلى ما مضى عليه الحسين عليه السلام وأصحابه.

قال عطية: فبينما نحن كذلك، وإذ بسواد قد طلع مِن ناحية الشام. فقلت: يا جابر، هذا سواد طلع مِن ناحية الشام. فقال جابر لعبده: انطلقْ إلى هذا السواد، وائتنا بخبره، فإن كانوا مِن أصحاب عمر بن سعد فارجع إلينا، لعلنا نلجأ إلى ملجأ، وإن كان زين العابدين عليه السلام فأنت حرّ لوجه الله تَعالَى.

قال: فمضى العبد، فما كان بأسرع مِن أن رجع وهو يقول: يا جابر، قم واستقبل حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. هذا زين العابدين عليه السلام قد جاء بعماته وأخواته. فقام

جابر يمشي حافي الأقدام مكشوف الرأس، إلى أن دنا مِن زين العابدين عليه السلام. فقال الإمام عليه السلام: أنت جابر؟. فقال: نعم يا بن رسول الله. فقال: يا جابر، ههنا والله قُتلت رجالنا، وذبحت أطفالنا، وسُبيت نساؤنا، وحُرِّقت خيامنا.

ثم انفصلوا مِن كربلاء طالبين المدينة.

## استبعاد أن يكون ورود السبايا في ٢٠ صفر مِن نفس العام: (مدينة الحسين، ج٢ ص ٦٧)

يقول السيد عبد العزيز الحسني: إن الحقيقة التي يمكن القول بها كما هو الرأي السائد في أكثر الأوساط العلمية عند رجال الإمامية، هو ما قاله [صاحب (القمقام) فرهاد ميرزا] ص ٤٩٥:

منذ رحل عمر بن سعد عن كربلاء إلى الكوفة ومعه سبايا الحسين عليه السلام والرؤوس، كان قد قطع مسافة ثمانية فراسخ مابين كربلاء والكوفة [نحو ٤٤ كم]، فلابدّ أنْ قطع هذه المسافة في ثلاثة أيام. وهناك لابدّ أن عُبيد الله بن زياد قد عطّل السبايا مدة مِن الزمن، حيث مرّ بهم في جميع أسواق الكوفة، لكي يوجد رعباً في قلوب القبائل العربية، وأن ينتظر ورود أوامر يزيد ثانياً. ولما ورد طلب يزيد بجلب السبايا إلى الشام، كانت المسافة التي يقطعها الراحل عَلى خط مستقيم مابين الكوفة والشام مائة وخمسة وسبعين فرسخاً [حوالي ألف كم]، إلا أن ابن زياد اتخذ طريقاً غير هذا الطريق، كما يؤخذ مِن رواية صاحب (المنتخب) قال: أخذوا الرؤوس مع السبايا مِن أهل الحسين عليه السلام مِن الكوفة إلى تكريت، ومنه إلى دير عمر، فوادي نخلة، ونزلوا بها ليلتهم، ثم ساروا إلى لينا، ثم وادي الكحيلة ثم الجهينة، ثم نصيبين فعين الوردة، ومن هناك عرّجوا إلى حرّان فحلب. ثم إلى معارة نعمان، ومنه إلى شيزر. ثم إلى حمص، ومنه إلى بعلبك، ومنه إلى دير النصارى، ثم إلى دمشق. فلا بدّ وأن المسافة كانت شاسعة، وقد طال أمد السير.

كما وإن هناك رواية أن أهل البيت عليهم السلام قد مكثوا مدة ستة أشهر عند يزيد، حتى انطفأت ثائرته. ثم دعا الإمامَ علي بن الحسين عليه السلام وخيّره بين البقاء عنده أو المسير إلى المدينة.

ولعمري كيف يمكن في مدة أربعين يوماً، أن تستغرق هذه السفرة في الذهاب والإياب؟!. فمن الأمور المحققة التي تميل إليها الأوساط العلمية عند مؤرخي الإمامية، أن أهل البيت عليهم السلام قد وردوا كربلاء في ٢٠ صفر عام ٦٢ هـ، ووجدوا جابراً عند القبر.

ويقول الفاضل الدربندي في (أسرار الشهادة) ص ٥٢٦ بعد أن أورد روايات أبي مخنف، واللهوف... الخ: إن هذه الروايات لم يظهر معها أن ورود آل الرسول صلى الله عليه وآله إلى كربلاء كان يَوم الأربعين، أي العشرين مِن صفر.

ولا يخفى أن دعوى ورودهم كربلاء يَوم العشرين مِن صفر، دعوى غير معقولة، لأن آل الرسول صلى الله عليه وآله كانوا في الكوفة مدة في سجن ابن زياد، ثم كانوا مدة مديدة في دمشق في سجن يزيد. ثم إنهم أقاموا مأتم سيد الشهداء عليه السلام في دمشق مدة سبعة أيام، وكان ذلِكَ بعد خلاصهم مِن سجن يزيد.

### المخرج

إذا صحّ أن جابر ورد كربلاء يَوم ٢٠ صفر مِن عام ٦١ هـ، فيمكن افتراض أن جابر وجماعة مِن بني هاشم أدركوا زيارة الأربعين، ثم مكثوا عند قبر الحسين عليه السلام حتى ورد عليهم زين العابدين عليه السلام فتلاقوا هناك. وهذا فحوى بعض الروايات: «فتوافوا في وقت واحد».

هذا هو المخرج الأول. أما المخرج الثاني فهو أن جابر والسبايا قد توافوا عند القبر الشريف في يَوم واحد، هو يَوم الأربعين ؛ ولكن مِن العام التالي ٦٢هـ.

### متى كانت زيارة جابر؟:

**(مدينة الحسين، ج٢ ص ٦٧)**

يقول السيد محمّد حسن مصطفى آل كليدار:

وفي عام ٦٢ هـ توجّه إلى كربلاء جابر بن عبد الله الأنصاري، زائراً قبر الحسين عليه السلام، ومعه جماعة مِن بني هاشم، فكانوا عنده في ٢٠ صفر.

### تحقيق يَوم الأربعين:

**(تظلم الزهراء للقزويني، ص ٢٨٧ ط قم)**

روى السيد ابن طاووس في (الإقبال) قال: وجدت في (المصباح) أن حرم الحسين عليه السلام وصلوا المدينة مع مولانا علي بن الحسين عليه السلام يَوم العشرين مِن صفر، وكلاهما مستبعد، لأن عُبيد الله بن زياد كتب إلى يزيد يعرّفه ما جرى، ويستأذنه في حملهم، ولم يحملهم حتى عاد الجواب إليه، وهذا يحتاج إلى نحو عشرين يوماً أو أكثر منها. ولأنه لما حملهم إلى الشام، روي أنهم أقاموا فيها شهراً في موضع لا يكنّهم مِن حرّ ولا برد. وصورة الحال تقتضي أنهم تأخروا أكثر مِن أربعين يوماً، مِن يَوم قتله عليه السلام إلى أن وصلوا كربلاء أو المدينة.

وأما جوازهم في عودهم عَلى كربلاء، فيمكن ذلِكَ ولكنه ما يكون وصولهم إليها يَوم العشرين مِن صفر، لأنهم اجتمعوا عَلى ما روي مع جابر ابن عبد الله الأنصاري، فإن كان جابر وصل زائراً مِن الحجاز، فيحتاج وصول الخبر إليه ومجيئه [إلى كربلاء] إلى أكثر مِن أربعين يوماً، أو عَلى أن يكون وصل جابر مِن غير الحجاز، مِن الكوفة أو غيرها.

يقول السيد رضي بن نبي القزويني: غاية ما قال رحمه اللهُ بعد تسليمه، محض استبعاد، ولا ينبغي بمحضه إنكار الروايات. فإنا سمعنا مِن الموثقين قرب الكوفة مِن دمشق، بما قد تيسر للبريد أن يسير بثلاثة أيام... ومدة مقامهم في دمشق عَلى ما في (المنتخب) لا يعلم كونها زائدة عَلى ثمانية أيام تقريباً. ولم نظفر عَلى رواية دلّت عَلى مقامهم فيها مدة شهر، والله يعلم. وأيضاً قد يذهب الحمام [أي الزاجل] بالمكاتب بأسرع مِن ذلِكَ.

واستبعاد مجيء جابر مِن أرض الحجاز أبعد مِن هذا، لما روي أن أبا حنيفة رأى هلال ذي الحجة بالكوفة أو بغداد، وورد مكة وحجّ في تلك السنة. ولأن أخبار نواعي الحسين عليه السلام مِن الجن والطير وانقلاب التربة دماً وغير ذلِكَ، أكثر مِن أن

يخفى عَلى أمثال جابر كما مضى بعضه، والله أعلم بحقيقة الحال، والتسليم لنا خير للمآل.

**تعليق العلامة المجلسي في (مزار البحار):**

يقول العلامة المجلسي في (مزار البحار) ج ٩٨ ص ٣٣٤ ط٢: اعلم أنه ليس في الأخبار، ما العلة في استحباب زيارة الحسين عليه السلام في يَوم الأربعين. والمشهور بين الأصحاب أن العلة في ذلِكَ رجوع حرم الحسين عليه السلام في مثل ذلِكَ اليوم إلى كربلاء عند رجوعهم مِن الشام، وإلحاق الإمام زين العابدين عليه السلام الرؤوس بالأجساد.

وقيل: في مثل ذلِكَ اليوم رجع السبايا إلى المدينة.

وكلاهما مستبعد جداً، لأن الزمان لا يسع ذلِكَ، كما يظهر مِن الأخبار والآثار، وكون ذلِكَ في السنة الأخرى [أي التالية] أيضاً مستبعد.

ولعل العلة في استحباب الزيارة في هذا اليوم هو أن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه في مثل هذا اليوم وصل مِن المدينة إلى القبر الشريف، وزاره بالزيارة المعروفة، فكان أول مَن زاره مِن الإنس ظاهراً. فلذلك يستحب التأسي به.

أو العلة هي إطلاق أهل البيت عليهم السلام في الشام مِن الحبس والقيد في مثل هذا اليوم، أو علة أخرى لا نعرفها.

وتُوافق زيارة الأربعين يَوم العشرين مِن صفر، وذلك لأربعين يوماً مضت عَلى مقتل الحسين عليه السلام.

وقال السيد ابن طاووس في كتاب (الإقبال) ص ٦٠: ووجدت في (المصباح) للشيخ الطوسي: أن حرم الحسين عليه السلام وصلوا المدينة مع مولانا علي بن الحسين عليه السلام يَوم العشرين مِن صفر. وفي غير (المصباح) أنهم وصلوا كربلاء أيضاً في عودهم مِن الشام يَوم العشرين مِن صفر.

**تحقيق حول زيارة الأربعين:**

(أقول): إذا صحّت الرواية بأن الإمام زين العابدين عليه السلام وافى جابر بن عبد الله الأنصاري في كربلاء يَوم الأربعين [٢٠ صفر] فيبعد أن يكون ذلِكَ في السنة نفسها التي قُتل فيها الحسين عليه السلام، وذلك لأمور:

١. إن الفترة التي قضاها السبايا في كربلاء ثم الكوفة (السجن) حتى جاء الأمر مِن دمشق بتسييرهم في أطول طريق إلى الشام، ثم إقامتهم في دمشق حتى رخّص لهم يزيد بمغادرتها، ثم حتى وصولهم كربلاء... هذه الفترة تزيد عن أربعين يوماً بلا شك.

٢. كان جابر في المدينة حين قتل الحسين عليه السلام، ويحتاج خبر مقتل الحسين عليه السلام ليصل مِن الكوفة إليها نحو ٢٤ يوماً، فلو أن جابر قرر الذهاب إلى كربلاء مِن حين وصول الخبر، لاحتاج إلى ٢٤ يوماً أخرى ليصل إليها، لاسيما أنه كان ضريراً وكبير السن. فيمتنع أن يصل إلى كربلاء يَوم الأربعين.

٣. تنصّ إحدى الروايات عَلى أن الإمام زين العابدين عليه السلام صحب معه رأس أبيه الحسين عليه السلام ودفنه يَوم الأربعين مع الجسد الشريف في كربلاء، أثناء رجوعه إلى المدينة. وهذا بعيد الظن لأن يزيد كان قد وعد الإمام زين العابدين عليه السلام

بأن يقضي له ثلاث حاجات مما يريد، فطلب في إحداها أن يريه وجه أبيه الحسين عليه السلام فقد اشتاق إليه. فكان جواب يزيد قوله: أما رؤية الرأس فليس إلى ذلِكَ مِن سبيل. فإذا كان رفض أن يريه الرأس الشريف فكيف يسمح له بأخذه معه وإرجاعه.

٤. إن يزيد بعد أن روّى حقده برؤية رأس الحسين عليه السلام عَلى طبق مِن ذهب مزمّلاً بدمائه، لم يشفِه ذلِكَ حتى أعطى أوامره بتسيير الرأس الشريف إلى كل أرجاء الدولة الإسلامية، حتى يرى كل المُسْلِمين الرأس ممثّلاً به، فيزيلوا مِن مخيلتهم أية فكرة في الخروج عليه.

مِن هذا المنطلق بعث يزيد الرأس الشريف إلى مصر، عن طريق عمّان والقدس، فعسقلان فرفح، حتى وصل إلى الفسطاط [وهي القاهرة اليوم]. وهناك أقام أعوان يزيد الأفراح والأعراس ابتهاجاً ومشاركة ليزيد في بهجة انتصاره عَلى الحسين عليه السلام. وعرضت أمام الناس الخيول التي داست جسد الحسين عليه السلام في مسيرة حاشدة، فاشتراها التجار بآلاف الدنانير، وخلعت حدواتها وعلّقوها عَلى أبواب بيوتهم تبركاً بها. ثم أرجع يزيد الرأس الشريف إلى دمشق، حيث سيّره إلى المدينة المنورة، وكان عامله عليها عمرو ابن سعيد الأشدق وهو مِن بني أمية، فبعد أن ابتهج بمقتل الحسين عليه السلام وشمت به، أدخل الرأس إلى مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووضعه بجانب قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وخاطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً: قد أخذنا ثأرنا منك يا محمّد، بقتلى بدر!.

ولهذا التسيير للرأس الشريف توهم بعض المؤرخين أنه دفن في القاهرة أو المدينة أو الكوفة.

وهذا التسيير قد استغرق وقتاً كبيراً، وهذا يتعارض كلياً مع رواية إرجاع زين العابدين عليه السلام الرأس الشريف يَوم الأربعين مِن عام ٦١ هـ. فلو صحّ ذلِكَ فهو في السنة التالية أو ما بعدها. وهذا ما ذهب إليه كثير مِن المحققين، وقد أشار إليه السيد عبد الرزاق المقرّم في مقتله، وهو ما كان يرجّحه الخطيب المنبري في دمشق المرحوم حسني صندوق، وهو ماناراه ونؤيده.

## حديث علامات المؤمن

**زيارة الأربعين مِن علامات المؤمن الخمسة:**

**(معالي السبطين للمازندراني، ج٢ ص ١١٤)**

في تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام قال: «علامات المؤمن خمس: التختّم باليمين، وصلاة إحدى وخمسين، والجهر ببسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيم، والتعفير للجبين، وزيارة الأربعين».

**[شرح الحديث]**

**التختّم باليمين: (مقتل الحسين للمقرّم، ص ٤٧٧)**

مما تعرَّض له الحديث السابق (التختّم باليمين)، وهو ما التزم به الإمامية، تديّناً بروايات أئمتهم عليهم السلام، وخالفهم في ذلِكَ جماعة مِن السنّة.

وقال الشيخ إسماعيل البروسوي: ذكر في (عقد الدرر) أن السُّنة في الأصل التختم في اليمين، ولما كان ذلِكَ شعار أهل البدعة والظلمة، صارت السنة أن يجعل الخاتم في خنصر اليد اليسرى في زماننا.

(راجع ما أورده العلامة الأميني في الغدير، ج١٠ ص ٢١١).

**صلاة إحدى وخمسين: (مقتل الحسين للمقرّم، ص٤٧٥)**

ويقصد بها الصلوات المشرعة في كل يَوم: الفرائض والنوافل. فالفرائض ١٧ ركعة، والنوافل في المذهب الجعفري: ركعتان قبل صلاة الصبح، وثمان ركعات قبل صلاة الظهر، وثمان قبل صلاة العصر، وأربع ركعات بعد صلاة المغرب، وركعتان مِن جلوس بعد صلاة العشاء تحسبان بركعة. فمجموع هذه النوافل ٢٣ ركعة، يضاف إليها ١١ ركعة صلاة الليل، فيكون مجموع النوافل اليومية ٣٤ ركعة. وبإضافتها إلى الفرائض يصبح المجموع ٥١ ركعة. وهذا مما اختص به الإمامية، فإن أهل السنة وإن وافقوهم عَلى عدد الفرائض، إلا أنهم خالفوهم في عدد النوافل.

**الجهر بـ ﴿ بسم الله الرحمنِ الرحيم ﴾: (مقتل الحسين للمقرّم، ص ٤٦٧)**

الثالث مما ذكر الحديث: (الجهر بالبسملة). وإن الإمامية تديّنوا إلى الله تَعالَى به، وجوباً في الصلاة الجهرية، واستحباباً في الصلاة الإخفاتية، تمسّكاً بأحاديث أئمتهم عليهم السلام. وفي ذلِكَ يقول الفخر الرازي: ذهبت الشيعة إلى أن مِن السنّة الجهر بالتسمية في الصلاة الجهرية والإخفاتية، وجمهور الفقهاء يخالفونهم. وقد ثبت بالتواتر أن علي بن أبي طالب عليه السلام كان يجهر بالتسمية، ومَن اقتدى في دينه (بعلي) فقد اهتدى، والدليل عليه قول النبي صلى الله عليه وآله: «اللهم أدرِ الحقَّ معه كيفما دار»[1].

وكلمة الرازي هذه لم يهضمها أبو الثناء الآلوسي، فتعقبها بقوله: لو عمل أحد بجميع ما يزعمون تواتره عن الأمير كَفَر، فليس إلا الإيمان ببعض والكفر ببعض. وما ذكره مِن أن مَن اقتدى في دينه (بعلي) فقد اهتدى مُسَلَّم، لكن إن سلم لنا خَبَرُ ما كان عليه علي عليه السلام ودونه مهامه فيح[2].

**تعفير الجبين: (مقتل الحسين للمقرّم، ص ٤٧٩)**

الرابع مما ذكره الحديث: (تعفير الجبين)، والتعفير في اللغة: هو وضع الشيء عَلى العفر، وهو التراب. والمقصود بالجبين هنا: الجبهة. فيكون المعنى: أن الشيعة التزمت بالسجود عَلى الأرض والتراب دون المأكول والملبوس. أو إن المعنى استحباب تعفير الجبين بعد الصلاة في سجدة الشكر، كما ذكر الشيخ المفيد في (الإرشاد)، اقتداء بما كان يفعله الإمام علي عليه السلام بعد كل صلاة مِن تعفير جبهته وجبينه بالتراب، تذللاً وخضوعاً لله تَعالَى، حتى سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله: أبا تراب.

وقد ورد تعفير الخدين في سجدة الشكر، وبه استحق موسى عليه السلام الزلفى مِن المناجاة.

أما السنّة فقد كره بعضهم سجدة الشكر بعد الصلاة، فضلاً عن تعفير الجبين !.

**زيارة الأربعين: (مقتل الحسين للمقرّم، ص ٤٧٣ و٤٨٠)**

المقصود مِن هذه الشعيرة، تلك العادة المطّردة التي اتخذها الموالون لأهل البيت عليهم السلام في زيارة قبر

الحسين عليه السلام كل عام في يَوم الأربعين (وهو العشرون مِن صفر) لإقامة العزاء عليه. فمن علامة الإيمان والولاء للدين ولسيد شباب أهل الجنة عليه السلام المثول في يَوم الأربعين مِن شهادة الحسين عليه السلام عند قبره الأطهر لإقامة المأتم عليه، وتجديد العهد بما جرى عليه وعلى صحبه وأهل بيته مِن الفوادح.

يقول مولانا الأجل العلامة المجتهد السيد علي مكي حفظه اللّهُ: لماذا كانت زيارة الأربعين علامة المؤمن؟. نلاحظ أن هناك زيارات كثيرة للحسين عليه السلام في أوقات مختلفة [مثل: يَوم عاشوراء - يَوم عيد الأضحى - يَوم عرفة - النصف مِن شعبان - النصف مِن رجب - كل ليلة جمعة] يزار بها الحسين عليه السلام خاصة ؛ فلماذا التأكيد عَلى زيارة الحسين عليه السلام.

السبب في ذلِكَ أن الحسين عليه السلام وهب نفسه لله، فأصبح عنواناً للدين، وزيارته هي لإحياء شعائر الدين. هذه الزيارات تذكّرنا بيوم الطف، وبمظلومية أهل البيت عليهم السلام، وأن الحسين عليه السلام أنقذ الدين مِن الجاهلية. تعلّمنا أن ننصر الحق دائماً، ونردع أنفسنا عن المعاصي، كما أنها مناسبة حيّة ليتدارس المؤمنون فيها أوضاعهم.

لهذا ذكر صاحب (الجواهر): أن زيارة الحسين عليه السلام تكاد تكون مِن ضروريات الدين، لأن هذه الزيارة سبب لاستمراريتنا في الإلتزام بأحكام الدين.

وهنا يُطرح سؤال أساسي: لماذا كانت زيارة الحسين عليه السلام يَوم الأربعين مِن شهادته عليه السلام، وليس قبل ذلِكَ اليوم أو بعده؟. فما هي خاصة يَوم الأربعين، الَّذي اتّخذ فيما بعد عادة بالنسبة لكل الموتى؟.

(أقول): لقد ورد في الحديث: أنه إذا مات المؤمن، يبكي عليه كل شيء والملائكة أربعين يوماً. وبالطبع يكون بكاؤهم عليه وترحمهم في آخر يَوم منها أشدّ ما يمكن، وهو يَوم الأربعين، فتكون إقامة مراسم الحزن والعزاء عَلى المؤمن يَوم الأربعين، مشارَكةً منا للملائكة والملأ الأعلى في حزنهم وأساهم وترحمهم عليه.

## النتيجة

نستنتج من الأخبار الإمامية أن فضيلة زيارة الأربعين للحسين عليه السلام هي تقرير إلهي وعطاء سماوي، حتى أنها صارت من علامات المؤمن؛ فسواء زار الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري قبر الحسين عليه السلام؛ قبل يوم الأربعين، أو في يوم الأربعين، أو بعد يوم الأربعين، فإن لهذا اليوم قدسية إلهية، وليست قدسيته آتية من زيارة جابر أو زيارة السبايا في ذلك اليوم، سواء في السنة الأولى أو الثانية. وبالتالي فيمكن أن يكون ركب السبايا قد وافوا القبر الشريف بعد يوم الأربعين من سنة ٦١ هـ أو في السنة التي بعدها، فذلك لا يخدش في قدسية ذلك اليوم، الذي هو من شعائر الله، ولا يقلل من قيمته، والله يقول ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ «الحج ٣٢».

علما بأن كلّ خصوصيات الإمام الحسين عليه السلام هي عطاء من الله تعالى للحسين عليه السلام، الذي قدّم وبذل

كل ما يملك لله تعالى، فاستحق العطاء الإلهي غير المحدود في الدنيا والآخرة.

ومن هذه الخصوصيات قول الإمام الباقر عليه السلام: إن الله تعالى عوّض الحسين عليه السلام من قتله، أن جعل الإمامة في ذريته، والشفاء في تربته، وإجابة الدعاء عند قبره، ولا تُعَدّ أيام زائره جائياً وراجعاً من عمره.

(بحار الأنوار، ج ٤٤ ص ٢٢١)

والله يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾، فالشهداء منذ استشهادهم يهديهم الله سبلهم إلى الجنة، حيث يعيشون ويرزقون ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، ويعطيهم الله أعظم أجر الصابرين، مصداقاً لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ «الزمر ١٠».

## أسرار العدد أربعين

إن أسرار العدد أربعين لا تنحصر في زيارة الأربعين، بل هي كثيرة تتعمق لتشمل بعض عناصر الكون، من مكان وزمان وأشياء وأشخاص، بل تشمل مرافق من حياة الإنسان، مما سنذكر بعضه فيما يلي استكمالاً للإعجاز العددي:

### أسرار العدد أربعين في المكان:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: حريم المسجد أربعون ذراعاً، والجوار أربعون داراً، من أربعة جوانبها (الخصال للشيخ الصدوق، ج٢ ص ٥٤٤).

أما الكرة الأرضية فقد بني طول محيطها على العدد أربعين. فقيس طول هذا المحيط في خط الاستواء وقسّم على أربعين ألفاً، واعتبر الناتج هو طول (المتر العياري)، وعليه فإذا أخذنا المتر العياري وقسنا به محيط الأرض نجده أربعين ألف متر.

### أسرار العدد أربعين في الزمان:

هذه الأسرار كثيرة نعدّ منها:

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: فبقي آدم عليه السلام أربعين صباحاً ساجداً يبكي على الجنة. (بحار الأنوار، ج ١١ ص ١٦٢).

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام: فانصرف آدم، فبكى على هابيل أربعين يوماً وليلة. (بحار الأنوار، ج ١١ ص ٢٣٠).

والإمام زين العابدين عليه السلام بكى على أبيه الحسين عليه السلام أربعين سنة.

وروي أنه لم يبعث نبيّ إلا على رأس أربعين.

ولما كلّم الله موسى في طور سيناء واعده ربّه ثلاثين ليلة، ثمّ زادها عشراً، فاكتملت أربعين ليلة. يقول تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ «الأعراف: ١٤٢».

وبلغ مدة تيه بني إسرائيل في طور سيناء أربعين سنة. يقول تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ «المائدة: ٢٦».

وقال الإمام علي عليه السلام عن أنصاره عند وفاة النبي صلى الله عليه وآله: لو تمكنت مِن أربعين رجلاً لقمت بالأمر.

ولقد توفي الإمام عليه السلام سنة ٤٠ هـ، وبعدها ابتدأت الفتن والمحن في هذه الأمة، لتركها العروة الوثقى والصراط المستقيم، وهو صراط محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله، والنبي يصور لنا ذلك فيقول: أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرُها أوّلَها.

**أسرار الأربعين في الأشياء والأشخاص:**

قال الإمام الصادق عليه السلام إذا مات المؤمن، فحضر جنازته أربعون رجلاً من المؤمنين، فقالوا: اللهمّ لا نعلم منه إلا خيراً وأنت أعلم به منا، قال الله تبارك وتعالى: إني قد أجزت شهادتكم وغفرت له ما علمتُ مما لا تعلمون. (الخصال للشيخ الصدوق، ج٢ ص ٥٣٨).

وقال النبي صلى الله عليه وآله: مَن حفظ من أمتي أربعين حديثاً مما يحتاجون إليه من أمر دينهم، بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً. (الخصال، ج٢ ص ٥٤١).

وفي المجال الكيميائي يتحول سكر العنب إلى خل في مدة أربعين يوماً. يتحول أولاً إلى خمر نجس في مدة عشرة أيام، ثمّ يتحول الكحول إلى خل طاهر في مدة ثلاثين يوماً.

**أسرار الأربعين في حياة الإنسان:**

قيل: إن الرؤيا الصادقة ربما يتأخر وقوعها إلى أربعين سنة، كما حدث في رؤيا يوسف عليه السلام.

قال الإمام الصادق عليه السلام: المؤمن لا يمضي عليه أربعون ليلة إلا عرض له أمر يحزنه، يُذَكَّر به.

وقال الإمام الباقر عليه السلام: إن الله عزّ وجل ليتعاهد المؤمن بالبلاء، كما يتعاهد الرجلُ أهله بالهدية من الغَيبة.

وقال الباقر عليه السلام: مَن شرب الخمر فسكر منها، لم تقبل صلاته أربعين يوماً. (الخصال للصدوق، ج٢ ص ٥٣٤)

(أقول): إن الذي يشرب الخمر تجب عليه الصلاة، ولكنها لا تقبل خلال أربعين يوماً، لأن أثر الخمر يظل في بدنه خلال تلك الفترة، ولا ينقى بدنه من ذلك الرجس حتى ينقضي أربعون يوماً.

يتم بلوغ الرجل أشده أي قوته في الأربعين من عمره. يقول تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ﴾ « الأحقاف: ١٥».

ومن أعجب العجب كيف يتمثل العدد أربعون في تكوين الجنين في الرحم، كما في حديث الأربعينات المروي عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وهو التالي.

## خلق الإنسان في الأرحام

### (حديث الأربعينات)

يقول الدكتور مأمون شقفة في كتابه الميمون (القرار المكين) ص ٥: إننا نريد أن نعلن للكافرين في كلّ مكان، أن الله ما فرّط في الكتاب مِن شيء.. وأن الموضوع الذي نحن بصدده وهو (خلق الإنسان) قد ورد في القرآن الكريم، كما هو عليه اليوم، وكما سيكون عليه غداً.. وهذا هو الإعجاز بعينه.

إن مسألة الصبغيات بكاملها، والتي هي صيحة الربع قرن الأخير في تاريخ العلوم الطبية، قد وردت في القرآن الكريم بجملة واحدة، لا أبلغ ولا أدقّ ولا أروع منها: ﴿مِن نطفة خلَقهُ فقدَّره﴾ «عبس ١٩».

وإن طور تخلّق الأعضاء الجنينية أثناء الحياة داخل الرحم، قد جُمع كله في آية كريمة واحدة: ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾ «القيامة: ٣٨».

ما هذا الإعجاز، وما هذه البلاغة.. تباركتَ يا ربَّ العالمين.

والعلم الحديث حتى ثلاثمائة سنة خلت، كان يعتقد أن الإنسان يُخلق مِن الحيوان المنوي للرجل فقط، وأنه جالس القرفصاء في رأس هذا الحيوان، وما على رحم أمّه إلا أن يغذّيه ليكبر.. كلام أبطله العلم الأحدث بعد ذلِكَ، وتبيّن أنه يُخلق مِن الرجل والمرأة مناصفة.. ولكن القرآن الكريم يقرر هذه الحقيقة، بل يشرح كيفيتها أيضاً في جملة واحدة ﴿إنّا خلقنا الإنسانَ مِن نُطفة أَمشاج﴾ « الإنسان: ٢». ما هذه الروعة، وما هذه الدقة.. تباركتَ يا ربّ !

وهذه فقط أمثلة، وغيض مِن فيض...

وهذا هو الصادق الأمين محمّدﷺ يفسّر الآيات الكريمة بأحاديثه الشريفة، ويقدّم للبشرية أروع تلخيص لعلم الجنين في حديث شريف واحد، هو «حديث الأربعينات». فهو يقسّم في هذا الحديث أطوار خلق الإنسان إلى ثلاثة أربعينات: أربعين، ثمّ أربعين، ثمّ أربعين. وهو حديث يحيّر العقول والأفهام، ولا يرقى إليه الشكّ، وهو مِن العلم الذي علّمه اللّهُ.

وهذا هو الحديث.. يقول النّبيﷺ: «إنّ أحدكم يُجمع خَلقُه في بطن أمّه أربعين يوماً نطفةً، ثمّ يكون علقة مثل ذلِكَ، ثمّ يكون مضغة مثل ذلِكَ. ثمّ يُرسل المَلَك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقيّ أو سعيد. فو الذي لا إلهَ غيره، إن أحدكم لَيعمل بعمل أهل الجنّة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها. وإن أحدكم لَيعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها».

ولا بأس أن نذكر أن هذه التقديرات لعمر الجنين، لا تبدأ مِن تاريخ الحمل والإخصاب، وإنما تبدأ مِن تاريخ سابق له وقريب منه ومعروف بدقة، هو أول يومٍ مِن آخر طمث (عادة شهرية) يسبق الحمل. ويسمى عمر الجنين المقدَّر مِن هذا التاريخ (العمر الطمثي)، وهو الذي اعتمده النّبيﷺ كقاعدة للحساب في حديث الأربعينات، وهو الذي يعتمده اليوم أغلب أطباء الجنين. (القرار المكين للدكتور مأمون شقفة، ص ٢٥٥)

ويقول الدكتور مأمون شقفة: لقد جمعتني فرصةٌ مع أحد أشهر أساتذة علم الوراثة وعلم الحياة الخلوية والمورّثات في إحدى الجامعات الهولندية.. وحين سمع مني بعض تفاصيل علم الجنين كما ورد في القرآن وفي حديث الأربعينات، أخذ يكتب بسرعة وقد أخذته الدهشة. وشعرتُ عندها بالتفوّق، لا

تفوُّقي أنا طبعاً، ولكن تفوّق علم الجنين في كتاب الله تعالى وحديث رسوله ﷺ.

لقد سألني هذا الأستاذ مراراً إنْ كان ما أقوله هو فعلاً مِن القرآن والحديث النبوي، وكنت أجيبه دائماً: بنعم، وأنا أشعر بعزّة المسلم، ربما للمرة الأولى في حياتي.. ولكنه كان يعود ليسألني نفس السؤال.. إنه يكاد لا يصدّق ما يسمع !.